سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة





تأليف
الشيخ عامر بن علي بن عُمير
الأمين العام لمشروع جامعة السلطان قابوس



العدد ٦٣

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



تراثنا

حضارة عمان القديمة

تأليف

الشيخ عامر بن علي بن عُمير
الأمين العام لمشروع جامعة السلطان قابوس

إعداد
محمد الكامل

العدد ٦٣



المحاضرة التى ألقاهـــا

سعادة الشيخ عامر بن على بن عمـــير الموهوبى

الأمين العـــام لمشروع جامعة السلطان قابوس

بمناســبة الأســبوع الثقـــافى العمـــانى

بالمملكـــة الأردنيـــة الهماشميـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إننى إذ أقدم هذه المحاضرة القصيرة الى القراء الكرام ، أود أن أؤكد لهم بأننى لست بمؤرخ ، إلا أنه كان لى الشرف العظيم عندما كلفنى سمو السيد فيصل بن على وزير التراث القومى والثقافة بتحضير وإلقاء هذه المحاضرة فى أثناء الأسبوع الثقافى العمانى فى المملكة الأردنية الهاشمية فى عاصمتها عمان ، وشعرت بذلك أنه أتيحت لى الفرصة لإثارة انتباه وشوق الحاضرين لمعرفة ما استطاع أن ينجزه العمانيون القدامى من حضارة انسانية نبعت من قيمهم الأخلاقية النبيلة ، وقوة إرادتهم التى لا مثيل لها ، برغم الظروف الصعبة التى كانوا يعيشون فيها ، وقسوة المناخ الطبيعى الذى لم تكن لديهم التسهيلات العلمية والتكنولوجية تساعدهم فى التغلب عليها ، تلك التسهيلات التى نعتبرها اليوم بغير تمعن كجزء من حياتنا اليومية •

والآن أقدم هذه المحاضرة التى تجمع معلومات من مصادر مختلفة عربية وأجنبية الى الشباب العمانى ، آملا أن تكون حافزاً لهم للمزيد من الاطلاع على حضارتنا ، وراجياً أن تكون

كذلك مثيرة لاهتمامهم ، ومشجعة لجهودهم المتزايدة والمستمرة ؛ للارتقاء بمستواهم الثقافى . والمشاركة الفعالة فى جميع النشاطات التى تعود بالفائدة للمجتمع العمانى والعربى والاسلامى ، وذلك تعبيراً لشكرهم وتقديرهم لمولانا جلالة السلطان المعظم حفظه الله ورعاه لما قام بتوفيره لهم من فرص التقدم والازدهار لبلادنا عمان .

وختاما لا يسعنى إلا أن أقدم شكرى وامتنانى الى سمو معالى السيد فيصل لإتاحته لى هذه الفرصة التى كان من الأفضل أن تعطى لمن هو أهل لأن يقوم بهذه المهمة ؛ وأرجو المعذرة من الجميع عن أى نقصان أو تقصير فيما قدمته فى هذه المحاضرة نابعين من عدم الكفاءة أو من عدم التقبيل . والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقـــديم

عندما نتحدث عن حضارة الانسان فاننا نعنى تلك الفترة التى بدأ الانسان يتكيف فيهــا مع بيئته ، ويستغلها ويسخر مــا حوله لتطوير أسلوب حياته ، لكى يستفيد من النعم التى أسبغها الله سبحانه وتعالى على خلقه فى هذا الكون •

وطبقا لمــا ذكره المؤرخون أن حضارة الانسان قد بدأت فى قرى صــغير منعزلة ، كان الشاغل الرئيسى فيها هو كسب المعيشـــة اليومية ، وحماية النفس من قسوة العوامل الطبيعية ، وضراوة المخلوقات الأخرى •

وقــد أدت هذه الاحتياجات الأساسية الى بروز بعض المهن كالصــيد والزراعة ، ثم تربية الحيوان والنســيج ، وصناعة الأوانى والأوعية والأسلحة والبنــاء • ونظرا لتميز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى بالعقل ، فانه لم يكتف بالاحتياجات الأساسية لمعيشــته فقط ، بل بدأ ينمى وبطور هذه المهن من مرحلة الى مرحلة فى مسيرة الحضارة الانسانية ، حتى وصــل الى عصر التكنولوجيا الذى نحن فيه الآن • والذى لا يزال فى تطور مستمر •

هــذا كله نعمة من رب العزة جل جلاله كمــا يقول فى

كتابه العزيز : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرة بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (١) صدق الله العظيم •

إننا نعرف القليل عن هذا الكون وعن الحضارات الانسانية القديمة فيه • وقد أستقينا ما لدينا من معلومات عن هذه الحضارات من مصادر دينية وتاريخية ، واذا ما عدنا الى المصادر التاريخية نجد أن حضارة الانسان بدأت فى الجزء الشرقى من عالمنا فى الفترة ما بين ٣٥٠٠ و ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وهى حضارات نمت وازدهرت على شواطىء الفرات ودجلة والنيل فى العالم العربى ، ونهر انداس فى الهند •

وسبب ذكرنا هذه الحضارات بالذات هو قربها الجغرافى من منطقتنا ، علماً بأن هناك حضارات أخرى قامت فى مناطق أخرى من هذا الكون وازدهرت خلال قرون عديدة قبل الميلاد •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

يقـدر بعض المؤرخين أن حضارة بلاد ما بين الرافدين بدأت حوالى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وحضارة مصر القديمة حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد . وحضـارة أندلس فى الهند حوالى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وما يمكن أن نستنتجه من هـذا هو أن عمـان كانت محاطة بهذه الحضارات الثلاث قبل ٥٠٠٠ سنة تقريبا • ومن سمات هـذه الحضارات أنهـا انتقلت من مرحلة الحياة الفطرية والعزلة والانشغال بأساسيات المعيشـة للبقـاء ، الى مرحـلة التقـدم والارتقاء الاجتماعى والفنى والثقافى . فبدأ الانسان يفكر فى بناء مأوى أحسن من مأواه القديم ، وفى تشكيل نظام للحـكم وسن قوانينه ، واختراع طريقة الكتابة والقراءة ، كما بدأ أيضـا فى التفكير والتأمل فى الحيـاة بعد الموت ، وفى عظمة هـذا الكون الذى يوحى بوجود خالق له ، فبنى المعابد والمقابر •

ومن سـمات هـذه الحضـارات أيضـا أن الانسان لم يكتف بعـزل نفسـه فى بيئتـه المحـدودة والمقصورة ، بل أراد أن يوسـع آفاقـه الى خـارج بيئتـه المباشرة ليتعرف ويسـتفيد من منجزات المجتمعات الأخرى والبيئـات المختلفة عن بيئته ، فبدأ باختراع وسائل النقل لتسـاعده فى انتقاله وترحاله من مكان الى آخر • وقـد أدت هذه المحاولات الى شن غزوات من ناحية ، والى الاتجار من ناحية أخرى •

أما حول تأثر هــذه الحضارات بعضها ببعض ، فإن بعض المؤرخين يشكون فى حدوث ذلك ، ويؤكدون على استقلالية كل منها فى النمو والازدهار ، وإن كانت هنــاك بعض الصــفات المتشابهة والمشتركة • ويعتقد البعض الآخر أن بعض الحضارات الحديثة قــد تأثرت بتلك التى سبقتها عن طريق نشر الحضارة ، وهذا ما يسميه مؤرخون فى الغرب بـــ Diffusion of Civilization

وبرغم ذلك ومهما قيل فى هــذا الموضوع فإن مما لا شك فيه هو أن بعض المجموعات البشرية الصغيرة التى كانت تقيم حول هــذه الحضارات لا بد وأن تكون قــد تأثرت بهــا •• وربما استفادت منها ومن تجاربها • وفى غضون سنوات أو قرون ذاع شأن هــذه الحضارات الى مستوطنات أخرى تبعد مسافات منهــا :

حضــارة ما قبل الاســلام :

الحضــارة العمانية القديمة

بعــد المقــدمة الموجزة عن بداية التطور الحضــارى للانسان فى المنطقة المجاورة لعمان ، نأتى الى لب الموضوع وهو الحضارة العمانية القديمة ، وما نستطيع أن نستنتجه من الأدلة التاريخية التى تتوافر لدينا ، علما بأن هــذه الأدلة لا تزال

محـدودة وغير متكاملة أو كافية ، مثلها مثل كثير من أدلة تاريخ الحضـارات القديمة فى جميع أنحاء العالم • وجهود المؤرخين وعلماء الحفريات والتنقيب ، مستمرة فى البحث عن المزيد من الأدلة للتمكن من ربط الأطراف المتنافرة ، والوصـول الى معلومات دقيقة وموثوق فيهـا بقدر الامكان •

إن عمليات التنقيب لم تكشف الى الآن عن وجود قرى أو مستوطنات فى عمان تعود للعصر الحجرى • ولكن علمـاء الحفريات عثروا بالفعل على بعض المقابر القديمة التى ألقت الضـوء على أشياء كثيرة مهمة ، وعلى سـبيل المثـال : عثر هؤلاء العلماء على جرار من الفخار فى مقابر بجبل حفيت بالقرب من البريمى ، وفى مقابر أخرى غرب عبرى • واتضح أن هـذه الجرار تشبه فى شكلها وفى أسلوب صـناعتها جرار حضـارة « جمدت نصر » التى نمت على شواطىء الفرات ودجـلة بين سنة ٣٠٠٠ و ٢٨٠٠ قبل الميـلاد •

ويقول علماء الحفريات : إنه وجدت فى جزيرة أم النـار التى ترجع حضارتها الى الألف الثالث قبل الميلاد آثار تشابه الآثار التى عثر عليها العلماء فى قرية « بات » فى منطقة عبرى فى عمان • ويعتقد بعض المؤرخين أن آثارا مماثلة وجـدت فى إيران أيضـا • وبالاضافة الى هـذه الجرار الفخارية عثر

الخبراء على اثار يرجع تاريخها الى العصر الحجرى ، وبعض الأسلحة فى وادى بهـلا وأزكى فى عمان الداخل ، وعبرى فى منطقة الظاهرة • وإن دل هـذا على شىء فإنما يدل على سابق صـلات تجارية بين هـذه الحضارات المتقاربة جغرافيا •• وما يمكن أن نستنتجه من هذا هو وجود حضـارات أخرى . ربما كانت أقل شأنا من حضارة الأكاديين والسومريين ، وأنه كانت هناك اتصالات تجارية بين هـذه الحضـارات ، وأكبر دليل على ذلك هو العثور على لوحة من لوحات الملك سرغون ملك الأكاديين من سنة ٢٣٧١ الى ٢٣١٦ التى كتب عليها ما يدل على أن سفن مجان ودلمون ومالوخا كانت ترسو فى ميناء أكاد •

كما ورد كذلك فى لوحة من لوحات ملك السومريين أرنامو (٢١١٣ — ٢٠٩٦) UR. Nammu بعد مضى قرنين من عمر ملك الأكاديين ، أنه فتح للمرة الثانية طريق التجارة بين سومر ومجان ودلمون ، وذلك بتسهيل المرور فى قنوات النهر للسفن القادمة من مجان ودلمون • ويظهر أن حضـارة الأكاديين والسومريين فى ذلك الوقت كانت أكثر تقدما من الحضارات الأخرى التى كانت حولها ، الأمر الذى أدى الى تأثر تلك الحضارات الى حـد ما بما أنجزه الأكاديون والسومريون ، وخاصة مجـان التى يعتقد كثير من المؤرخين بأنها عمان القديمة ، ودلمون حسب النظرية السائدة بين علماء التاريخ هى البحرين القـديمة •

أما بالنسبة للحضارة الثالثة وهى ما تسمى بمالوخا . فهناك شكوك فى موقعها الفعلى ، غير أن الرأى السائد هو أن مالوخا كانت جزءا من الحضـارة الهندية القديمة فى وادى نهر انداس فى الهند . وان كان هـذا صحيحا فمن الجائز اذن أن نقول إن الصـلات التجارية كانت تدور بين هذه الحضارات الثلاث ، وتمثلت فى تبادل المنتجات المختلفة ، وفى معاملات البيع والشراء ، كما يبدو أيضـا أن دلمون ومجان كانتا لا تتاجران فى منتجاتهما فقط ، بل كانتا تعملان فى نفس الوقت كمراكز تجارية للبضائع التى كانت تأتى من حضارات أخرى .

وهنا نتساءل عن امكانية قيام أتصالات بين حضـارتى مجان ودلمون . وحضـارات أخرى خارج المنطقة . ومـع أنه لا يوجـد دليل أكيد يشير الى ذلك فإننا لا ندرى كيف نبرر إبحار مراكب مجان أو دلمون الى ميناء أرو أو أكاد ، وهى محملة ببضـائع مثل الخشب ، علما بأنه لم تكن توجـد غابات فى كليهما . ولو أن بعض المؤرخين يذهبون الى إمكانية وجـود غابات كثيفة فى تلك العصور التى نتكلم عنها .

أما البضائع الأخرى التى كانت تجرى التجارة فيها بين مجـان ودلمون من جانب ، وأكاد وسومر من جانب آخر ، فهى النحاس ومواد البناء كالحجارة التى كانت مدن حضارة سومر

بحاجة اليها لبناء القصــور والمعابد ، كما جــاء فى وثيقة عن أمير مدينة لاجاش Lagash حيث يقول : إنه كان يتلقى الهدايا من مجان ودلمون ومالوخا وأنه كان يستورد مواد البناء كالخشب والحجارة diorite من تلك الحضارات الثلاث لأجل الإله • وكما جاء كذلك فى وثيقة أخرى أن الكاهن - Nin - Gir - Su,Lu, Enlilla الذى كان يشرف على معبد نانا Nanna فى زمن الملك أبى سين Ibbi-Sin الذى كان ملك أور UR من سنة ٢٠٢٩ — ٢٠٠٦ أنه كانت له صــلة تجارية بينه وبين مجان حيث كان هو يصــدر بعض البضائع لكى يتمكن من شراء نحاس من مجان •

مجان وتعــدين النحاس :

لموضوع النحاس ومجان أهمية كبرى لربط عمان بمجان ، وذلك لأن النحاس كان ولا يزال من منتجات عمــان الرئيسية أكثر من أى بلد فى الخليج • ولهذا السـبب قامت الســلطنة بتكليف خبراء من جامعة هارفارد فى سنة (١٩٧٣) بالتنقيب لاكتشاف مناجم النحاس القديمة فى عمان • الأمر الذى ألقى بعض الضــوء على هــذا الجزء من الحضارة العمانية القديمة • فقــد جاء فى تقرير هؤلاء الخبراء أنهم اكتشفوا سبعة عشر مستوطنة فى عمان ، وبعد دراسة الآثار التى وجدت فى هــذه المستوطنات من الأوانى الفخارية وطريقة البناء بالحجارة ،

وفضـــلات النحاس ، تأكد بأن تاريخ هــذه الآثار يرجع الى الألف الثالث قبل الميلاد • ويستطرد هــذا الوفد فى تقريره بالقول : إنه كانت هناك ميــاه متوافرة فى ذلك الوقت فى مواقع الحفر ، الأمر الذى أدى الى الاستيطان البشرى فيهــا •• كما اكتشفوا أيضـــا نوعا من السـدود التى كانت تشــيد فى الوديان لكى تتحكم فى سيل المياه وتسربها الى جوف الأرض ، وهناك صـــور وتفاصيل لبعض هــذه الآثار ولمواقعها فى الجزء الأول من مجــلة الدراسات العمانية •

ويرجى مراجعتها لمزيد من التفاصــيل ••

أما عن النحاس فيقول التقرير : إنه وجــدت فعـــلا آثار تدل على عمليات صهره فى وادى سمد فى المنطقة الشرقية ، وفى منطقتى الباطنة والظاهرة ، ومما يثير الانتباه هنـــا هو أن مواقع صــهر النحاس كانت قرب الأراضى الزراعية التى يتوافر حولهــا المــاء ، الأمر الذى يدل على صـــهر النحاس فى ذلك الوقت كان نشاطا فرعيا لمواطنى هــذه المســتوطنات البســيطة ، التى ربما كانت تعتمد على الزراعة أساسا ، ثم انتقل صهر النحاس بعد ذلك الى مواقع غير زراعية وتطـــور الى نشاط تجارى ، وأصــبح النحاس من المنتجات الرئيسية للتصــدير الى الخارج •

والجـدير بالذكر أن الشركة التى تعمل فى انتاج النحاس فى عمـان حاليا اكتشفت مواقع عـدة وجدت فى بعضها كميات وافرة ، وفى بعضها كميات غير مجـدية اقتصاديا ، غير أنه من الجائز أنها كانت اقتصـادية فى تلك الأزمان ، وكما هو معروف لديكم أصبح النحاس من المصـادر الرئيسية لعمـان الآن ، ويوجد فى مدينة صـحار فى منطقة الباطنة مناجم لاستخراج النحاس يقدر إنتاجها بـ ٢٠ ألف طن فى السنة •

وتبين الآثار الأخرى التى تم اكتشافها فى المنطقة ، أنماط حياة هؤلاء العمانيين القدامى ، فقـد كانت تقع مستوطناتهم فى الأراضى الخصبة الزراعية حيث الميـاه متوافرة ، وقد وجدت آثار سدود بسيطة لحفظ الماء فى جرف الأرض ، وآثار أخرى تدل على وجود طـرق الرى فى ذلك الوقت ، ويؤدى كل هذا الى الاعتقاد بأن النشاط الزراعى كان من جملة أنشطتهم ، وربما كان نشاطهم الرئيسى • ووجود آثار صـهر النحاس يؤكد لنا أنهم كانوا يستعملون الأوانى المعدنية ، بالاضـافة الى الأوانى الفخارية • ومن قول الملك سرجون ملك الأكاديين والملك أرنامو ملك السومريين أن مراكب مجان كانت ترسو فى موانيهم ، لذا يمكن أن نستنتج أن المستوطنين العمانيين القـدامى كانوا على درجة لا بأس بهـا من الحضـارة ، وقد مكنتهم من الانتقال

من بيئتهم المباشرة الى حضارات أخرى أرقى من حضاراتهم ، وأن التجارة كانت كذلك من ضمن أنشطتهم اليومية ، ولابد أن بناء السفن كان من المهارات التى مارسوها ، وإلا كيف كان فى إمكانهم العبور الى أكاديا وسومر ، وإرساء سفنهم فى تلك المواني .

ومما يعزز هذا الرأى إشارة الملك دونجي Dungi ملك السومريين على لوحة من مدينة لاجاش Lagash فى سنة ٢٠٥٠ قبل الميلاد الى وجود بنائين للسفن فى مجان فى ذلك الوقت . وتأكيدا لهذا التعبير القديم أشار الرحالة العربى المسعودى فى القرن العاشر بعد الميلاد الى وجود بنائين للسفن فى عمان .

إن وجود السفن يتطلب بالضرورة أن يكون هناك ميناء لهذه السفن للانطلاق منه والرسو فيه ، وقد يسأل البعض عن موقع هذا الميناء أو الموانى فى ذلك الوقت ، وعن إمكانية عبور هذه السفن الأولية البحار من مجان الى موانى سومر عن طريق هرمز . ويرى البعض أنه من الممكن أن جزيرة أم النار وحضارتها القديمة كانت تستخدم كميناء فى ذلك الوقت لسفن مجان ، ومن الجائز أن اسم مجان كان يشمل عمان كما نعرفها اليوم ، والأجزاء المجاورة حولها . وجدير بالذكر أن كل هذا افتراض لا يجب تقبله إلا بأدلة أثرية ثابتة . ومعذرة إن كنت

لا أستطيع الخوض فى هـذا الموضوع فى الوقت الحاضر •
وامتدادا لهـذا الافتراض ربما كان هنـاك طريق برى يربط مواقع مناجم النحاس فى الباطنة ، ووادى الجزى بسـاحل الامارات العربية • ولكى نعرف المزيد من الدلائل على هـذه الحضـارة فى عمان أرجو أن تسمحو لى أن أراجع معكم بعض صفحات تقارير وفـود الخبراء الذين قاموا بعمليات الحفـر والتنقيب فى عمان من سـنة ١٩٧٣ ، وأود أن أخص بالذكر تقرير فريق أثرى دانمركى ، وتقرير فريق أثرى أمريكى من جامعة هارفارد ، وتقرير فريق أثرى بريطانى •

لنبدأ بالفريق الدنمركى الذى قام بعملية حفريات للمرة الثانية فى سنة ١٩٧٥ حيث يقول هذا الفريق ضـمن أشـياء كثـيرة :

« وكنـا فى عمليتنـا الأولى فى بات فى يناير — فبراير (كانون الثانى — شباط) عام ١٩٧٣ قد ركزنا العمل على منطقة دفن من الألف الثالث على منبسط خفيض على بعد ١ — ٢ كم من الشمال الغربى من قرية بات الحالية •

وكان الجزء الجنوبى من هـذه المقبرة يحوى قبورا من طراز أم النار ، كلها قـد نالتها يد العبث ، ولكن يسهل التعرف

عليها عن طريق نظام الجـدار الداخلى فيها والفخار المبعثرة حولهـا •

وقبور خلايا النحل فى الجزء الشمالى تشبه بنياتها قبور حفيت التى هى أصغر قليلا ، والتى كانت تحوى فخاراً من شاكلة جمدت نصر • وهو مما أظهرته شـقف الفخار القليلة التى وجدت فى قبور بات •

أما المقبرة الحقيقية فكانت تحوى حوالى ١٠٠ قبر كلها مبنية بالحجارة ، ويبدو فيها تطور من قبور خلايا النحل الى قبور أم النار التى هى أكثر تعقيدا فى البناء وأوسع •

يضـاف الى ذلك أن أقرب منحدرات التلال تحوى مالا يقل عن ٢٠٠ قبر من الألف الثالث قبل الميلاد » •

وعن عملية التنقيب الثانية يقول التقرير :

« وعندما تم الحفر على البناء بدا بناء مستديرا يحيط به طريق من جـدار مسنن ، مبنى على حافة واد صـغير ، وكانت شقفات الفخار القليلة التى وجـدت فيه من الألف الثالث » •

وخلاصـة هـذا التقرير هو وجود أوان ومقبرة ومبـان حجرية فى بات على بعد حوالى ٣٠ كم من مدينة عبرى ، ويعتقد

محررو هـذا التقرير أن وجود هـذه الآثار يدل على قيام مدينة وليست قرية فى الألف الثالث قبل الميلاد •

والآن نحاول أن نسترشد من تقرير فريق جامعة هارفارد الأمريكيـة •

دعيت بعثـة هارفارد عام ١٩٧٣ للقيام بأول عملية مسح للآثار فى عمان ، وقـد استطاعت هـذه البعثة الأثرية خـلال فصلين من المسح أن تحدد موقع سبع عشرة مستوطنة يعـود تاريخها على الأرجح ، بناء على قطع الفخار المتصلة بها ، والمبانى الحجرية الى الألف الثالث قبل الميلاد وهو العصر البرونزى •

ويقول التقرير :

« ونتيجة لعملية المسح عام ١٩٧٣ فى وادى بهلا استنتجنا استنتاجا مبدئيا أنه كان من العوامل الأساسية فى اختيار الموقع لمستوطنات الألف الثالث قربه من مصـدر للمياه يكفى لاقامة نظام بسيط للرى ، وكذلك بالطبع لتلبية الحاجة الى الشرب وسـقاية الحيـوانات •

ولقد تبين موضع مستوطنة الألف الثالث ، التى سميت

وادى الفرع على بعد حوالى خمسة كيلو مترات شمال الرستاق . فى موضــع مماثل لمواقع مستوطنات الداخل •

ووادى أبرا ووادى الأثلى ووادى الفرع ، هى فى الدرجة الأولى مستوطنات ؛ لكن يرتبط بها عــدد من الرجوم والحلقات الحجرية شبيهة بنصب قبور أم النار . وقــد اكتشــف فى مستوطنات وادى سمد والباطن والظاهر شواهد على صــهر النحاس • ويبدو فى حالة وادى سمد أن المستوطنة كلها كانت مشتغلة بعملية الصــهر » •

ومما يلفت النظر أن مواقع صهر النحاس فى الألف الثالث التى عثر عليها عــام ١٩٧٥ كانت كلها واقعة قرب الماء والأرض الصــالحة للفلاحة •

ويدل هــذا على أن انتاج النحاس فى العصور القديمة كان جزءا متكاملا مع حياة الجماعة ، على حين أنه صــار فيما بعــد صناعة خاصة ، ربما للتصدير تلبية لطلب جهات أجنبية •

ويرجع تاريخ المستوطنات السبعة عشر الى الألف الثالث ؛ وقد أمكن تحــديد ذلك ، على أساس مجموعات شقف الفخار وتماثلها مع مجموعات أخرى •

وقـد اكتشف فى كل واحـدة من المستوطنات السـبع عشرة بعض صدفات البحر ، ومن المحتمل أن حركة المواصلات بين الساحل والداخل كانت نشيطة مستمرة .

ولعل النحاس والحبوب من الداخل كانت تقايض بالمحار والسمك من الساحل .

وعندنا شواهد حسنة على وجود تجارة خارجية فى عمان فى العصر البرونزى . فهناك بعض الفخاريات التى تماثل ما كان فى بلاد ما بين الرافدين ، وأكثر من ذلك مما يماثل ما كان فى جنوب شرق إيران ..

لقـد راودت الباحثين دوما فكرة أن يجعلوا عمـان مكانا لمملكة مجـان التاريخية . والمستوطنات التى كانت تشتغل بصهر النحاس فى وادى سمد والباطنة والظاهرة تدل على وجود جماعة فى الألف الثالث تشتغل بصهر النحاس .

تقرير البعثـة الأثرية البريطانية

زارت البعثة البريطاتية عمان فى سنة ١٩٧٤ وخـلال وجودها فى السلطنة زارت أجزاء من منطقة الشرقية حيث عثرت على عـدد من قبور « خلايا النحل » التى يرجع تاريخها الى أوائل الألف الثالث ، ووجدت أن هناك تشابها بين هـذه المقابر وتلك التى عثرت عليها البعثة الدنماركية فى بات •

وشوهدت مدافن متأخرة العهـد لعلها من الألف الأول قبل الميلاد ، مكونة من أبنية من حجارة مسطحة ممتدة صـفا طويلا شرقا حتى جعلان •

وتم اكتشـاف ثلاث مواقع غربى أزكى حيث كان يكثر الصـوان المصنع وقد وجد اثنان منهما على مرتفعين يطلان على وادى مقنيات ويقع الثالث على أرض مسطحة من الحصى فى أسـفل جبل الكور •

ويقول تقرير هـذه البعثة : إن عمـان غنية بآثار المدافن وقد تبين من عملية المسح وجود عـدد كبير من نماذج متباينة من القبور ، وأمثلة من المبانى المتميزة بواجهة مبنية بحجارة مربعة فى جزيرة أم النـار •

ويستمر التقرير : « إن من الآثار الأخرى المثيرة للاهتمام قاعات مستديرة ضخمة مسورة بحجارة من نوع كان أول من لاحظه بعثة هافارد للمسح قرب بسيا فى وادى بهلا • وقد دون وجود عشرة على الأقل من هـذه المبانى فى أثناء مسح البعثة البريطانية : أربعة قرب بات واثنان فى فرق والروضة ، وواحد فى الغرب قرب بهلا ، وأخرى غيرها فى أماكن مختلفة • ولم تقرر البعثة طبيعة هـذه المبانى الأثرية ، ولكنها تعتقد بأن بعضها ربما كانت مبان للدفاع ، ولعل غيرها كان لمقاصد دينية ••

وقد وجدت البعثة البريطانية أوان فخارية كثيرة تختلف أنواعها ، وقارنتها بالأوانى الفخارية التى وجدت فى مواقع حضارات قديمة فى المنطقة ، مثل حضارة أم النار ، وحضارات إيرانية فى بامبورفى بلوخستان • وقد سبق أن وجد صندوق عليه زخرفة مماثلة فى مدافن هيلى من طراز أم النار • وقد وجدت أيضا فى أماكن أخرى صناديق ذات حجرات فى مواقع سكنية متأخرة عثر عليها فى موهنجو دارو فى حضارة نهر انداس فى الهند •

وقامت البعثة البريطانية بفحص موقع آخر حيث اكتشفت مدافن أخرى وبناء مربعا ، وتعتقد البعثة أن هـذا الموقع هو قبر من طراز أم النار • كما أكدت الدكتورة كارين فريفلت

رئيسة البعثة الدنماركية أن الأبنية التى وجــدت فى المدافن كانت شائعة فى حضــارة أم النــار فى المدافن والمساكن .

يدل هــذا كله على وجود حضــارات قديمة فى عمــان فى أماكن مختلفة . وربمــا كانت هناك اتصالات بين هــذه الحضارات والحضــارات المجاورة فى المنطقة ، ومــا يجب أن نعرفه هو أن هــذه البعثات الثلاث استطاعت أن تكشف الغطاء فقط وأنه هناك الكثير الذى يتطلب جهــد بعثات مماثلة للقيــام بالمزيد من التنقيب والاكتشاف ، لعله يقودنا الى معرفة أدق عن هــذه الحضارات . ولكن ممــا لا شك فيه الآن برغم هــذا كله هو أن لعمان حضــارة قديمة جدا ، يرجع تاريخها الى مــا لا يقل عن ٥٠٠٠ سنة من وقتنــا هذا . وأكبر دليل على ذلك مــا وجدته البعثات الثلاث من أوانٍ ومبانٍ مماثلة لحضــارات المنطقة التى يعرف أنهــا كانت فى أوج ازدهارها فى الألف الثالث قبل الميلاد .

وحكومة جلالة السلطان قابوس بن سعيد — حفظه الله — حريصة كل الحرص على الحفاظ على تراث البلاد وحضارتها . ومن أجل ذلك أمر جلالته بإنشــاء وزارة خاصــة بالتراث القومى ، وعين سمو السيد فيصل بن على آل سعيد وزيرا لها .

ومنذ إنشائها قامت وزارة الثقافة والتراث القومي بعدة أنشطة تتعلق بالحضارة العمانية ، والتراث القومي ، ومن ضمنها تشجيع التنقيب عن الآثار القديمة في مختلف أنحاء السلطنة • وقامت الوزارة فعلا بمتابعة واستمرار عملية التنقيب التي قامت بها البعثات الثلاث التي أوردنا بعض ما جاء في تقاريرها أعلاه ، والتي أجمعت على وجود شواهد من الآثار التي اكتشفوها تدل على قيام حضارة في عمان يرجع تاريخها الى الألف الثالث قبل الميلاد ، وذلك بمقارنة أساليب هذه الحضارة بأساليب حضارة أم النار وحضارة بلاد ما بين الرافدين •

وامتدت أنشطة التنقيب لوزارة التراث القومي الى البقاع الساحلية في عمان ، واكتشفت موقعاً في القرم في منطقة العاصمة ، يضم آثاراً تدل على تواجد بشرى في هذا الموقع في الألف الخامس قبل الميلاد ، ويبدو أن إنسان ذلك العصر كان يستغل الموارد البيئية حوله من البحر والبر ، وكان يدفن موتاه في حفر بسيطة في الأرض مع مجوهرات من الصدف والحجارة •

وقد اكتشف علماء التنقيب في هذا الموقع حبة لؤلؤ في يد أحد الموتى •

واكتشف هؤلاء العلماء كذلك في جبل حفيت وفي منطقة أبرا

فى المنطقة الشرقية مقابر تشـبه خلايا النحل . ويرجع تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد •

وفى سـنة ١٩٨٢/٨١ بدأت عملية التنقيب فى وادى سمد فى المنطقة الشرقية ، وظهر من هـذه العميلة أنه كانت فى هـذا الوادى مستوطنات منظمة فى حياتها ، وكان سكانها يمارسون فلاحة الأرض ، ويدل على ذلك وجد سدود بسيطة بنيت لحفظ المـاء لاستعماله للرى ، كمـا سكان هـذا الوادى يستخرجون النحاس من باطن الأرض ، ويصـهرونه فى أفران بنيت لهـذا الغرض • ووجدت فى أحد المسـاكن ٢٢ قطعة من النحـاس يتراوح حجمها بين ٦ و ٢٢ سم • ويعتقد الباحثون أن النحاس الذى كان ينتجه سكان هـذا الوادى وأودية أخرى فى عمـان كان يزيد عن الاحتياجات المحلية بكثير ، ولذلك لابد أنهم كانوا يصدرونه الى الخارج ، وليس من المستبعد أن يكون هـذا النحاس من عمان هو الذى كانت تحمله سفن مجان الى بلاد مـا بين الرافدين ، ومن الجلى أن هـذا هو أكبر دليل على أن مجان اسم قديم لعمـان •

ومتابعة تسلسل تاريخ الحضارات القدمية أمر فى غـاية الصعوبة نسبة لتوالى فترات زمنية يحف بها الغموض والاندثار من كل جانب • هذه الفترات التى لم تلاق الى الآن حظا من

التدوين أو الاكتشاف الأثرى الذى يربطهـا عضوياً بسابقاتها أو لاحقاتها من العصـور ، ومن الفترات الغامضة التى لم تفك طلاسمها بعد تلك الفترة ما بين الألف الأول قبل الميلاد وظهور الاسلام فى تاريخ عمان باستثناء منطقة ظفار .

تختلف المنطقة الجنوبية فى عمـان « منطقة ظفار » بعض الشىء عن المنطقة الشمالية وذلك فى مناخهـا العـام ، وطبيعة أرضهـا ونباتها لأنها تقع فى خط الأمار الموسمية التى تهطـل بكميات كبيرة فى فصـل الخريف الذى يبدأ من شهر يونيو الى شهر سبتمبر كل عـام ، فى الوقت الذى تعـانى فيـه مناطق شمال عمان من شدة حرارة الصيف والجفاف .

ولمنطقة ظفار تاريخ قديم يرجع الى قرن أو قرنين قبل الميلاد بحسب الآثار التى اكتشفت الى الآن .

ومن أكبر شواهد هـذه الحضارة القديمة فى ظفار تجارة اللبـان التى كان مركزهـا الرئيسى مدينة سمهرام فى خور روري قرب عاصمة المنطقة صلالة .

وقد تم التنقيب فى موقع سمهرام من قبل بعثة أمريكية فى الأعـوام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ و ١٩٥٨ و ١٩٦٢ ، ونتيجة لهـذا التنقيب وجدت لوحات مكتوب عليها اسم سمهرام ، وأسماء

الملوك الذين كانوا يحكمون المنطقة فى ذلك الوقت • وهناك اختلاف فى الرأى بين علمـاء الآثار حول اسم المدينة ، فالبعض يقول إنهـا سمهرام ، والبعض الآخر إنهـا سامرام •

وبغض النظر عمـا اذا كان الاسم سمهرام أو سامارام . فاننا نعلم أنه كانت هناك مدينة وميناء فى خور رورى فى ظفار ، وأن هـذه المدينة كانت مركزا حضاريا متقدما ، وعلى اتصـال مع حضارات أخرى عاصرتها مثل الحضـارة الاغريقية • كمـا نعلم أيضا أن هـذه المدينة ازدهرت بتجارتها مع عديد من البلدان ، وكان من أكبر إنتاجها اللبـان الذى كانت تصدره الى الخارج لاستعماله فى المعابد والكنائس •

وبالنسـبة لتاريخ هـذه الحضارة تعتقد الدكتورة بيرين أنه كان فى القرن الأول قبل الميلاد . فى حين يعتقد الآخرون انه كان فى القرن الأول بعد الميلاد • وكان يصدر اللبان من مينـاء يسمى « موسكا » وبعد نقاش طويل عن موقع هـذا الميناء كتبت الدكتورة بيرين أنهـا تعتقد أن مينـاء موسكا كان يقع فى خليج ظفار حيث خوررورى ، وهناك آثار قديمة توجد حالياً فى خور رورى عبـارة عن بقايا قلعة قديمة فوق تل يطل على البحر ، وقد وصفها ويندل فليبس الذى عاش فى ظفـار لمدة طويلة بأنها قلعة منيعة لمدينة ذات شهرة منسية ،

كانت تحافظ على سلامة أحسن ميناء فى ساحل ظفار ، لابد وأن تكون هى موسكا • وكتب رحالة ومؤرخ مجهول يونانى الأصل فى القرن الأول بعد الميلاد فى كتابه عن موسكا ، Priplus of the Erythrean Sea وأشار اليه كميناء بحرى أقيم لتصدير منتجات اللبان ، وكانت سفن البلاد الأخرى تتعامل مع رجال الحاشية الملكية على أساس مقايضة اللبان بمنتجات الحنطة والسمسم والمنسوجات •

كما وصف الكاتب الرومانى بلينى الجنوب العربى القديم بأنه أغنى بلدان العالم وربما ذلك كان لسبب تجارتها فى اللبان •

الحضارة العربية الاسلامية فى عمان

إننى أخشى ألا تكون لدينا أدلة تاريخية متسلسلة فى هذا الصدد لنسترشد بها فى تحديد تراث أهل عمان قبل وصول الأزد إليها ، وقد كتب بعض المؤرخين الأجانب عن هذا الموضوع . ولكننا نرى فى كتابتهم أنهم أخذوا كثيراً من معلوماتهم من مصادر عربية ، ولذلك لابد من الاعتماد على المؤرخين المعانيين أنفسهم ، وعلى الأخص أشهر هؤلاء المؤرخين وهما « سرحان بن سعيد بن سرحان ، وعبد الله بن حميد السالمى » .

فى كتابه « كشف الغمة » يقول سرحان عن دخول الأزد الى عمان بقيادة مالك بن فهم : « قال الكلبى : إن أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم » . ومهما كان سبب خروجه الى عمان . وهناك حديث عن كلب جاره الذى كان السبب لخروجه ، ولا داعى للدخول فى تفاصيل هذه الحادثة فى هذه المحاضرة . خرج مالك من السراة بمن أطاعة من قومه ، وسار يريد عمان فكان لا يمر بحى من أحياء العرب إلا سالموه لمنعته وكثرة عساكره .

ويقول سرحان : « إن مالك عمان ومايليها من الأطراف ،

وساسها سياسة حسنة ، وسار فيهـا سيرة جميلة ، وله ولأولاده في سيرهم الى عمان أشـعار كثيرة وشواهد تركتها طلباً للاختصـار » ٠

ونقول نحن : ياليت سرحان لم يترك هـذه الأشـعار والشواهد حتى تكون في حوزتنا لنستفيد منها في وقتنا هذا ٠

ويقول السالمي في كتابه « تحفـة الأعيان عن سيرة أهل عمان » : إنه جاءت الى عمـان بعد مالك بن فهم قبائل كثيرة من الأزد ،فأول من لحق بمالك من الأزد عمر بن عمرو بن عامر (ماء السماء) وولداه : الحجر والأسـود ، وتفرعت من الحجر والأسود بعمـان قبائل كثيرة ، ثم جاءت بعدهم قبائل أخرى من الأزد فملئوها ، ويقـال : إن الأزد سموا عمـان عمانا لأن منازلهم كانت على واد لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به ٠

لم تزل الأزد تنتقل الى عمان حتى كثروا بهـا ، وقويت يدهم ، واشتدت شوكتهم وملئوها ٠

ثم نزل عمان من غير الأزد أسامية بن لؤى بن غالب ، فنزل في جوار الأزد ، وقال العوتبي : إن بني أسامة اليوم في توءم ،

البريمى ، وقال : إن فيهـا ناساً من بنى سعد وناساً من بنى عبد قيس •

كمـا نزل بعمان كذلك ناس من بنى متيم ، منهم من آل جديمة بن خازم وغيرهم ، ونزلهـا أيضـا قوم من الأنصـار فى الجاهلية ومنازلهم فى قرية يقال لهـا : ضنك • ونزل ناس من قطن من الأنصار ، ومنازلهم فى عبرى والسليف وناس من بنى الحارث بن كعب ومنازلهم بضنك ، ونزلها ناس من بنى رواحة بن قطيفة ابن عيسى •

هـذا تاريخ بعض القبائل التى نزلت عمـان بعد مالك ابن فهم ، وهناك كثير من القبائل العمانية اليوم التى تنتمى الى هـذه القبائل •

مالك بن فهم :

كان مالك بن فهم ملكا عظيما ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم يهابونه ويفخرون به ويتعززون بمنعته ، ويقـال إنه فى ناحية أخرى نزل ملك من ملوك الأزد يقـال له :مالك بن زهير ، وكان عظيم الشـأن كذلك ، وكاد يكون مثل مالك بن فهم فى العزة والقدرة ، وخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد ، وأن يطمع أحدهما فى ملك الآخر فتقع بينهما الحرب • فخطب مالك

ابن فهم الحزام بنت مالك بن زهير ، فزوجـــه على أن يكون الملك لأولادهـــا من بعده ، فأجابه مالك بن فهم الى ذلك ، وتزوجها فولدت سليمة بن مالك ، وهو أصغر أولاده واحبهم اليه ، ولسليمة هـــذا قصـــة مع أبيه مالك بن فهم بعد مـــا كبر وصار شاباً ومات مالك على يده ، وهو أحب الناس اليه .

ويقول السالمى : إن سبب ذلك كان أن مالكاً قد جعل على أولاده لحراسة بالمناوبة كل ليلة على رجل منهم مع جماعة من خواصه وأمنائه من قومه . وكان سليمة أحظى ولد مالك عنده وأقربهم اليه . فحســـده إخوته وجعلوا يطلبون له زلة عند أبيــه وقومه . وكان مالك يعلم سليمة من صغره الرمى بالسهام الى أن أتقنه ، وكان يحرس كإخوته .

وأقبل ذات يوم نفرمن إخوته الى أبيهم فقالوا : يا أبانا إنك قد جعلت على أولادك الحراسة بالنـــوبة . ومـــا أحد منهم إلا وهو قائم بها عليه ما عدا سليمة فانه أضعف همة وأعجز ، وأنه إذا نزل الليل يعتزل عن فرســـان قومه ، وتيشاغل بالنـــوم والغفول عما يلزمـــه .

لم يصدق مالك كلامهم وقال لهم : إنه لم تزل الإخوة تحسد بعضهم بعضـــاً لإيثـــار الآباء بعضهم على بـــعض ولكن داخله الشك الى أن كانت الليلـــة التى كانت فيها نوبة ابنه سليمة ، وقد

خرج سليمة ذات ليلة فى نفر من فرسان قومه يحرسون كالعادة ، ثم اعتزل عنهم سليمة فى مكان يقرب دار أبيه ، فبينما هو فى ذلك المكان إذ أقبل مالك من قصره فى جوف الليل مختفياً من حيث لا يعلم به أحد • قاصداً الى ذلك الموضع •

وكان سليمة فى ذلك الوقت قد لحقه نوم على ظهر فرسه ، فرأى الفرس شخص مالك من بعيد ، فصهلت وانتبه سليمة من غفوته مذعورا ونظر الى الفرس وهى ناصبة أذنيها الى شخص مالك ، ففوق سهمه اليه وهو لا يعلم أنه أبوه ، فسمع مالك صوت السهم فهتف به يا بنى لا ترم أنا أبوك ، فقال سليمة : يا أبت ملك السهم قصده فأرسله ، وأصاب السهم مالكا فى قلبه . وبموجب هذه القصة قال مالك قصيدة طويلة قبل موته ، نعى نفسه فيها ، وذكر سيره الذى ساره من أرض السرات الى عمان • لا نستطيع أن نأتى بها فى هذه المحاضرة إلا هذه الأبيات فقط :

جزاه الله من ولد جزاء
سليمة إنه ساما جزانى

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رمانى

ترخـانى بقـدح شـك لبى
دقيق قـد برتـه الراحتـان
فأهـوى سـهمه كالبـرق حتى
أصـاب بـه الفؤاد ومـا عدانى

جلس سليمة مع إخوته بعد ذلك فترة ، حتى بلغـه أن أخـاه معن كان يطلب غفلته ليغرى به سفهـاء قومه من حيث لا يعلم أحد ، فأقسم ألا يقيم فى أركى عمان . وأجمع رأيـه على ركوب البحر . فخرج هرباً فى نفر من قومه ، حتى نزل بفارس وتزوج بامرأة منهم من قوم يقال لهم : « الأسفاهية » ؛ إنه رحل ونزل بأرض كرمـان ، وله قصة أخرى هناك لا مجال لهـا فى هذه المحاضرة .

ولا يوجد دليل على الأحداث التى شهدتها عمان فى أعقاب وفاة مالك ، وإن كان من المرجع أن أبناءه ظلوا يتناوبون الحكم الى أن انتقل منهم الى أسرة أخرى من الحكـام هى أسرة بنى شمس ، وهى فرع من قبيلة الأزد التى وفدت الى عمان بعد وصـول مالك إليهـا ، وكان يتزعمها معولة بن شمس ؛ ولا تتحدث السجلات التاريخية عن الكيفية التى تم بها انتقال الحكم الى أسرة بنى شمس ، وكل مـا أعرفه عن الموضوع ما ورد على لسـان المؤرخ العمانى الشيخ العالم عبد الله بن حميد

السالمى الذى يقول : « إن أول ملك يتولى الحكم من هــذه القبيلة هو عبد العز بن معولة بن شمس » ويصــفه أنه كان حاكما قويا ونشيطا امتد حكمه الى أبعد من اليمامة والبحرين ٠

وإن أمكن الاعتماد على البحث الذى أجراه ح ٠ س ٠ ولكنسن عن دولة بنى جلندى . فعبد العز بن معولة بن شمس يكون من أجداد الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الجرار ابن عبد عز بن معول بن شمس ووالد عبد وجيفر اللذان كانا يحكمان عمان عند ظهور الاسلام ، واللذان أسلمــا على يد عمرو بن العاص رسول النبى صلى الله عليــه وسلم إليهم فى السنة الثامنة أو التاسعة بعد الهجرة ٠

ويتفق جميع المؤرخين على أن أهل عمــان اعتنقوا الاسلام خلال حكم الأميرين جيفر وعبد ابنى الجلندى ٠

وعن كيفية إسلام أهــل عمان لابد وأن نلتزم بالاعتمــاد على المؤرخين العرب الذين تطرقوا الى هــذا الموضوع بكثير من الانصاف والادراك ٠

أهل عمان فى الإسلام

يقـال إن أول من اعتنق الاسلام فى عمان كان رجـل يسما مازن بن غضوبة . وكان من سكان سمائل فى الجزء الداخلى من عمان ، وكان قبل الاسلام يعبد الأصنام •

وتقـول الرواية : إن مازن بعد أن علم بأمر الدعـوة الاسلامية سافر الى المدينة ، وأسلم على يد الرسول صلاة الله وسلامه عليـه •

وفى حديث مازن قال : « وركبت راحلتى قدمت عـلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فسألته عما بعث له ، فشرح لى الاسلام ونور الله قلبى للهـدى فأسلمت » ثم قـال : (قلت : يا رسول الله إنى مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفد أكثر مالى فى هـذا ، وليس لى ولد ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجـد ، ويهب لى ولداً تقر به عينى ويأتينا بالحياة ، فقال النبى صلى الله عليـه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام حلالا ، وبالعهر عفـة الفرج ، وبالخمر رياً لا إثم فيـه وأتهم بالحيـاة وهب له ولداً تقر به عينه ») •

أمـا عن إسلام أهل عمان فقد جاء عن الواقدى أن النبى

صلى الله عليه وسلم كتب الى جيفر وعبد ابنى الجلندى الأزدى ، وبعث عمرو بن العاص بكتـابه إليهمـا • فكان أول من لقيه عمرو عبد بن الجلندى ، وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقا . ثم سلم عبد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لأخيه مختومـاً ففض ختمـه وقرأه حتى انتهى الى آخره ، ودفعه الى أخيـه عبد فقرأه مثل قراءته ، ثم التفت الى عمرو فقـال : إن هـذا الذى تدعو اليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير • وأنا أعيد فكرى فيه وأعلمك •

استحضر جيفر وعبد جمـاعة الأزد . وبعثوا الى كعب ابن برشة العودى فسألوه عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقـال : « الرجل نبى وقد عرفت صـفته وسيظهر على العرب والعجم » فأجاب جيفر الى الاسلام وأسلم هو وأخوه فى ساعة واحدة ، ثم بعث الى وجوه عشـائره فبايعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأدخلهم فى دينه وألزمهم تسليم الصدقة وأمر عمرو بن العاص بقبضهـا •

هكذا كان أسلام أهل عمـان ؛ وليس كمـا يقول بعض المؤرخين الأجانب مثل المؤرخ الانجليزى مايلز : إن العمانيين لم يعتنقوا الاسلام من منطق الايمـان به ، وإنمـا خوفا منه ، وبدافع المصلحة والضرورة وأنه بعد أن رأى العمانيون كيف

انتصر محمد صلى الله عليـــه وسلم على اعتداز بنى قومه عليه ؛ وعلى رسالتـــه النبوية خشـــوا من زحف قوات المسلمين على بلادهم • أو أنهم وجدوا فى جيوش المسلمين سنداً لهم فى مقاومتهم للاحتلال الساسانى للبـــلاد ، ولا يوجد أى مبرر لهـــذه التكنهات إذ إن العمانيين أنفسهم وبدون أى مســـاعدة عسكرية من أية جهة أخرى قاموا بطرد جيوش الاحتلال عندما رفضـــوا الدخول فى الاســـلام •

وعلى ذلك فقد جاء الاسلام الى عمـــان ليبقى وينتشر ، ولمـــا كان جيفر وعبد نفساهمـــا قد آمنـــا به فانهما ناشدا القبائل أن تحذو حذوهما •

وبدأ الأزد يتشربون تعاليم الدين الجديد من المبعوث الذى أوفد إليهم لدعوتهم اليه ،وهو عمرو بن العاص الذى أقـــام فى عمـــان حتى غادرها عند سماعه بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وعندما اضطرته وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى الرحيل صحبه عبد وعدد من كبار شخصيات الأزد •

وعند وصولهم الى المدينة ألقى سيدناأبو بكر كلمة ترحيب أمام المهاجرين والأنصار قال فيها : « معاشر أهـــل عمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه مـــا جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ،

ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ؛ ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعمتوه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم . فأى فضـل أبر من فضلكم ؟ وأى فعل أشرف من فعلكم ؟ كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً آلى يوم الميعاد . ثم أقام فيكم عمرو مـا أقام مكرماً ، ورحل عنكم إذ رحل مسلماً . وقد مَنَّ الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى ، وأعزكم الله به ، وعزه بكم ، وكنتم على خير حـال حتى أتتكم وفـاة رسول الله صلى الله عليـه وسلم فأظهرتم مـا يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمـال ، فيثبت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم . جزاكم الله خيرا » .

وتقول الأستاذة الدكتورة / سـيدة اسماعيل كاشف فى كتابها « عمان فى فجر الاسلام » : انه بعد أن اعتنق العمانيون الاسلام اقبلوا بحمـاس بالغ على دراسة القرآن والتفسير والحديث وآداب اللغـة العربية . فأصبحت عمـان بفضل فقهائها وعلمائها وأدبائها مركزا هاما لحركة العلمية الدينية .

الامام جابر بن زيد وعدد علماء من عمان

ومنذ قديم الزمان برز أول فقيه شهير من العمانيين اسمه جابر بن زيد ، الذى ولد فى قرية صغيرة تسمى « فرق » قرب نــزوى •

قيــال إنه ولد بين العام ١٨ والعــام ٢١ بعد الهجرة خال فترة خلافة عمر بن الخطاب ، وإنه قد أمضى طفولته فى مسقط رأسه ، ودرس القرآن ، وهو صغير وتبحر بعمق فى الفقه ، وكان تعطشــه للعلم لا يروى • ولذا غادر عمــان وذهب الى البصرة التى كانت مركزا عظيما للعلم فى ذلك الوقت •

أمضى جابر بقية حياته بين البصرة والمدينة المنورة ؛ الأمر الذى جعــله على صلة بأكبر فقهــاء المسلمين حينذاك ؛ واستوعب منهم كل مــا أمكنه من استيعابه من تعاليم العقيدة الاسلامية من كافة جوانبهــا • وقد تعلم جابر من عبد الله بن عباس الذى وصــفه « بالبحر » ومن السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أبى هريرة وأنس بن ملك وأبى سعيد الخدرى وسيدنا على بن أبى طالب وآخرين كثيرين غيرهــم •

ونسب لجابر قوله : إنه أدرك سبعين من الذين شاركوا فى

موقعة بدر ضمن جنود النبى صلى الله عليـــه وسلم • وقد ورد أن ابن عباس قد قال للنـــاس : « اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » كما أشار ابن عباس الى أهل العراق فى ذلك الوقت وقال : « عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون الينا ومعهم جابر بن زيد » •

وعاصر جابر بن زيد كثيراً من العماء والفقهاء ، مثـــل الحسن البصرى وغيره ، وكان ينشر العلم فى المساجد ، ويجاهد فى سبيل إحيـــاء سنة الرسول عليه الصـــلاة والسلام ، ويدعو سراً وعلناً الى ضرورة محافظة الأمة الاسلامية عـــلى شريعة الله •

ومن تلاميذ جابر بن زيد وزميله أبو عبيدة مســـلم بن أبى كريمة التميمى ، والامام الربيع بن حبيب صـــاحب المســـند المعروف باســـمه ، وكان الربيع من أهل الباطنة من عمان ، ثم خرج الى البصرة لطلب العلم ، وكان شابا حين التقى بالامام جابر بن زيد • وبعـــد أن قضى معظم حياته فى البصرة يطلب العلم ويقوم بتدريســـه عاد الى عمان وطنه فى عمـــان حيث انتقل الى جوار ربه فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى •

وتقول الدكتورة / سيدة اسماعيل كاشف انه نشر « الجامع

الصحيح » للربيع بن حبيب فى القدس فى سنة ١٣٨١هـ وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة « مسند الربيع » للربيع بن حبيب تحت رقم ٢١٥٨٢ب . وتستطرد بالقول ان من أهم من حمل العلم عن الامام الربيع بن حبيب من البصرة الى عمان خمسة علماء عمانيون كان لهم الفضل الأكبر فى ازدهار الحياة العلمية فى فجر الاسلام فى عمان ، وهم : أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى ، وموسى ابن أبى جابر الأزكوى ، وحبوب بن الرحيل ، ومحمد بن المعلى الكندى .

وهناك عدد كبير من هن علماء عمان الذين لعبوا دورا كبيرا وفعالا فى نشر الدين الاسلامى والثقافة الاسلامية ، ليس فى عمان فقط بل فى افريقية الشرقية كذلك . وهناك علماء وفقهاء من الذين كرسوا حياتهم فى طلب العلم ونشره ، وأكبر دليل على ذلك المؤلفات المخطوطة التى تقوم وزارة التراث القومى فى عمان بجمعها وحفظها وطباعتها فى وقتنا هذا ، والتى بلغ عددها الى الآن أكثر من أربعة آلاف مخطوطة منها كتاب « العين » امام الكتب فى اللغة للخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدى الذى خرج من عمان الى البصرة وأقام بها . وكتاب الجمهرة لأبى بكر أحمد بن محمد بن أبى حسن بن دريد الأزدى ، وكتاب الكامل لأبى العباس المبرد .

وإن كان هؤلاء من بعض العلمـاء والمؤلفين العمانيين الأولين ، فهنـاك كذلك علماء أتوا بعدهم لا يقلون عنهم شأنا ، ومنهم فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد السالمى صاحب كتاب « تحفة الأعيـان فى سيرة أهل عمان » وله مؤلفـات عديدة « كجوهر النظام » وهو كتاب فى الفقه الاسلامى منظوم فى عشرة آلاف بيت . وهـذا الفقيه الذى فقد بصره وهو فى ســن الثالثة عشرة من عمره ،ولم يكن قد تجـاوز الأربعين عاما عند وفاته فى ســنة ١٣٣٢هـ الموافق سنة ١٩١٤م قد ألف أكثر من اثنين وعشرون كتابا .

وقد نشر السالمى شرحا لكتاب الربيع بن حبيب « الجامع الصحيح » وفى مقدمة هذا الكتاب التى كتبها عز الدين التنوخى قـال : إن ثلاثية الربيع بن حبيب الأزدى وأحاديثها فى مسنده من أصحها رواية وأعلاها سنداً ورجال سلسلة الثلاثية الحلقات هم أبو عبيدة التميمى وجابر بن زيد الأزدى ، والبحر عبد الله ابن عباس شيخ جابر وكلهم مشهورون بالحفظ والضبط والأمانة والصـيانة .

هـذه أمثلة قليلة عن العلماء والمؤلفين العمانيين الذين ساهموا مساهمة فعالة فى إثراء الفكر الاسلامى وارساء الحضارة العمانية المجيدة حتى أصبحت عمان الاسلامية مركزا علميـا هـامـا .

دور العمـانيين فى الملاحـة

ولا يسعنا قبل أن نختتم هذه المحاضرة إلا أن نذكر بعض الشىء عن الدور العمانى فى الملاحة . فقد ذكرنا سابقا فى هـذه المحاضرة أنه لابد وإن كان العمانيون القدامى يمارسون مهنـة صناعة السفن من قديم الزمـان ، وإلا كيف كان فى إمكـانهم العبور الى بلاد مـا بين الرافدين . وإرساء سفنهم فى موانى السومريين . كما ذكرنا كذلك أن المؤرخ العربى المسعودى أشار فى القرن العاشر بعد الميلاد الى وجود مهنة صناعة السفن فى عمـان .

ويقول المسعودى كذلك : أن أصحاب المراكب الذين كانوا يبحرون الى افريقيـة الشرقية فى القرن الرابع الهجرى — العـاشر الميلادى كانوا عرباً عمانيين من الأزد ، وكان أقصى مينـاء تصـل اليه هو مينـاء سفالة فى موزمبيق الذى كان مرفأ تجارة الذهب القادمة داخل البلاد ، أما السلع التى كانت المراكب تسعى لجلبهـا من شرقى افريقية فهى الذهب والعـاج والأخشاب والتوابل .

وكان إيجـار الأساطيل التجارية العمانية الى افريقية ومدغشقر بغرض جلب العـاج والصـوف وجلود النمـور

والعنبر ، وهى سلع كان الاقبال عليهـا شديدا فى العراق والهند والصين • ويبدو هـذا واضحا فى البقايا الأثرية الكثيرة لمدينة صـحار التى كانت مدينة ذات شـأن كبير فى التجارة فى ذلك الوقت • وهناك رواية أن أول ملاح عربى أبحر من صحار الى كنتون فى الصـين كان عمانيا اسمه أبو عبيدة عبد الله بن قاسم فى القرن الثامن الميلادى • وتأكيداً لإمكـانية مثل هـذه الرحلة البحرية قامت وزارة التراث القومى بالتعاون مع البحار البريطانى تيم سفران ببناء سفينة شراعية بموجب مواصفات السفن العمانية القديمة ، وأعدتها للسفر من ميناء مسـقط الى كنتون •

وكمـا يعرف الجميع ، فقد قـام تيم سفران مع مجموعة من الشباب العمانيين ، وبعض علمـاء العلوم البحرية بهـذه الرحلة التى سميت رحلة السندباد بنجاح فى نوفمبر سـنة ١٩٨٠ من ضمن احتفالات العيـد الوطنى العاشر لعمـان • ووصلوا كنتون فى شهر يوليو بسلام آمنين بعد أن سلكوا الطريق البحرى الذى يعتقد أنه المسار الذى طرقه أبو عبيدة سابقا • ولاشك أن ميـنـاء صحار كان أكبر الموانى ازدهارا • ويذكر المسعودى كذلك أن ازدهار صحار يرجع الى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى • ويقـال : انه قداشترك هـذا المؤرخ فى كثير من

الرحلات التجارية مع الملاحين العمانيين ويذكر أن ربابنة السفن في عمان كانوا يرتادون بحار الصين والهند والسند وافريقية الشرقية ، واليمن والبحر الاحمر والحبشة ، كما كانوا يقطعون أطول الطريق البحرية التجارية في فترة القرون الوسطى وهم الذين ألفوا القصص والحكايات التي انحدرت منها قصص السندباد •

ان صناعة السفن العمانية تطورت بعد ذلك حتى استطاعت أن تنافس السفن الأوربية في تصاميمها • وفي أيام حكم الامامين ناصر بن مرشد ، وسيف بن سلطان اليعربيين أصبح جهاد العمانين موجهاً ضد سفن الأوربيين بصفة عامة ، وسفن البرتغاليين بصفة خاصة ، حتى في عام ١٦٥٢م أبحر أسطول من المراكب العمانية على مراكز البرتغاليين في ميناء (بيته) قرب زنجبار ، ولكن البرتغاليين عادوا اليها بعد قليل واحتلوها •

وفي عام ١٦٥٥ أبحر أسطول عماني آخر الى ممباسة ، وكان أهلها قد استعانوا بسلطان بن سيف على البرتغاليين ، وقد استسلمت المدينة بعد حصار دام خمس سنوات وانسحب البرتغاليون منها ونصب فيها والي عماني •

وفي أثناء حكم سيف بن سلطان استأنف العمانيون نشاطهم

البحرى على أوسع نطـاق ، وسارع الامام سيف الى تدعيم الأسطول العمانى ؛ ويقال انه كان يملك ٢٨ مركبا صغيراً و ١٤ مركبا كبيرا زود أكبرها بثمانين مدفعـا ؛ وحل أسطوله محل أسطول البرتغاليين فى السيطرة على منطقة غرب المحيط الهندى • ويقول « هاملتون » الانجليزى ان العمانيين قد فرضوا بهـذا الأسطول هيبتهم على الساحل كله الى البحر الأحمر ، وامتد نفوذهم الى الخليج بعد أن أقام الامام سلطان بن سيف حامية له فى عـام ١٧٧٧م •

وفى عهـد السيد سعيد بن سلطان الذى يعد واحدا من ألمع الحكام العرب فى القرن التاسع عشر الميلادى . كانت أهم ممتلكات عمان هى التى فى ساحل افريقية الشرقية ، وقد بلغت السيطرة العمانية على بعض الموانى الى حد اقامة حاميات دفاعية فيهـا مثل ممباسة ولا مووبيتة وكلوة ومركا ومقديشو •

انتقل السيد سعيد الى زنجبار فى سنة ١٨٣٢ ، ، كان قرار انتقاله هـذا قراراً سياسيا من الدرجة الأولى ومن بين الأسباب التى دعت اليه الحاجة الى موقع تجارى على طريق رأس الرجاء الصالح من المحيط الاطلسى الى الهند ، بالاضـافة الى الانتاج الزراعى فيهـا الأمر الذى أدى الى أن تصـبح المنتجات

الزراعية كالقرنفل وجوز الهند ومنتجات أخرى كالعاج وقرون الحيوان والصدف والعنبر والأخشاب توزع فى جميع أنحاء المحيط الهندى وحتى الى أمريكا وانجلترا .

يقول تاجر أمريكى : إن السيد سعيد بن سلطان وصل الى زنجبار بأسطول كبير فيه ٦٤ مركبا حربيا كبيرا . و ٣٦ مركبا صغيرا ، مراكب أخرى شراعية تحمل ما لا يقل من ستة آلاف جندى. وقال الانجليزى بارتون : إن اسطول السيد سعيد فى ذلك الوقت كان يعتبر من أقوى الأساطيل فى القوى البحرية فى المحيط الهندى ولأجل اثراء التجارة بين ممتلكاته والدول الأوربية أرسل السيد سعيد أول سفير عربى الى أمريكا فى فى سنة ١٨٤٠ فى السفينة « سلطانة » بقيادة أحمد بن النعمان الكعبى ، كما أرسل أول سفير عربى الى انجلترا فى سنة ١٨٢٨ ، وهو على بن ناصر الذى كان واليا فى ممباسا ، وأرسله مرة ثانية فى السفينة « سلطانة » فى سنة ١٨٤٢ — وكان ذلك فى عهد الملكة فكتوريا . كما أن البارجة كارولينا التابعة لأسطوله زارت ميناء مارسليا فى سنة ١٨٤٩م .

ويعتبر عهد السيد سعيد بن سلطان من أهم العصور بالنسبة لمجالات النشاط الملاحى .

ويقول مؤلف كتاب عمان فى تاريخها البحرى : إنه كانت

هناك تطورات هامة تجرى على فنون الملاحة عند العرب ، ومن أهمها استعمال الابرة المغناطيسية ، وانه لمن المؤكد أن الفضل الكبير فى هذا التطور يعود الى الملاحين العمانيين •

ومن أبرز الشخصيات التى اقترن اسمها بتاريخ الملاحة وعلوم البحار فى تلك الفترة الملاح العمانى شهاب الدين أحمد ابن ماجد صاحب كتاب « الفوائد فى أصول البحر والقواعد » وقد كتب نحو أربعين كتابا تتناول موضوعات الملاحة البحرية ، غير أن كتاب الفوائد يعتبر غاية مـا وصلت اليه الكتابة العربية عن الملاحة ، وألفه فى الفترة بين عامى ١٤٨٦ و ١٤٩٠م • وقد ظل الملاحون فى المحيط الهندى يعتمدون على هـذا المرجع الهام فى رحلاتهم حتى نهاية القرن الثامن عشر •

هـذه نبذة عن دور العمانيين فى الملاحة وهناك معلومات دقيقة وكثيرة فى المراجع التاريخية لمن يريد أن يتعمق فى هـذا الموضـوع •

خـاتمـــة

وفى ختام هـذه المحاضرة أرجو أن أذكر المستمعين الكرام بأان هناك موضوعات أخرى تتعلق بتاريخ عمان وحضارتها القديمة لم يسمح لنا الوقت بتناولها فى هـذه المحاضرة ، منها معركة دبا التى دار حولها نقاش طويل ، وتضارب فى الآراء عما إذا كانت هـذه المعركة نتيجة لردة بعض المسلمين فى عمان أم لا .

منها أيضا موضوع الدور الذى لعبه أهل عمان فى الفتوحات الاسلامية فى هـذه المنطقة ونشر الاسلام فى البلاد المجاورة ، وفى افريقيا الشرقية ، وكيف نشأ المذهب الأباضى واستقر فى عمان الى يومنا هـذا ، وماهية هـذا المذهب الذى أساء فهمه معظم المعلقين ، المسلمين وغير المسلمين .

وأرجو المعذرة إذ أننا لا يمكن أن نعطى هذه الموضوعات حقها فى هـذه المحاضر وربما نتناولها فى مرات قادمة والله ولى التوفيق . . .

الصفحة

مطابع سجل العرب